المبدأ 27

كيف تجعل آخر يمشي على صفيح ساخن

المغزى:

غالباً ما يختار الناس ما هو متوافر أمامهم، ويفضل أحدهم أن لا يفكر أكثر من اللازم في عمق حريته بالاختيار، خاصة إذا كان نطاق الخيارات المتاحة محدوداً لأنه يُريحه من التردد. فالاختباء ـ إذاً ـ خلف خيارات محددة تعرض أمام المنافس تدفعه إلى أحد الموقفين: إما أن يتخلى عن المسألتين وإما أن يأخذ إحداها. وعندما يدخل لعبة التخيير يكون من حيث لا يدري قد دخل مصيدة الانصياع لآخرين. إلا أن «مصيدة الانصياع» هذه لا يدركها إلا من أتقن إستراتيجية «التحكم في الخيارات» التي ترتكز بدورها على جملة قوائم منها:

1. أن تجعل الآخر يعتقد بأنه وحده من يستطيع أن يتخذ أفضل القرارات.

obeikandl.com

2. أن تدفع الآخرين إلى اختيار ما تريدهم أن يفعلوه عن طريق ظهورك بأنك لا تريده.
3. أن تبدي للناس أشياء/مواقف ثم بعد تفكير مطول من قبلهم قدم خيارات أقل أهمية.

إن براعة دفع الذين نتواجه وإياهم إلى ميدان الاختيار بين أمرين، عبر مهارات مثل: إرغام الممتنع، تقليص الموجودات، تقديم الاحتمالات، هو بحد ذاته خدعة تفاوض ممتازة مع الذين لا يُحسنون الحسم، إنها تتشابه وأسلوب الاستجواب التقليدي في عالم المحاماة والقضاء: عندما يُستدرج الشاهد للبت بين تفسيرين محتملين لواقعة ما، وكلا التفسيرين يمكن أن يؤدي إلى فتح ثغرة في روايته حيث يضطر عندها إلى الإجابة، وهذا هو المقصود: حرمان الضحية من الوقت الكافي للتفكير في مخرج.

المثال

تروي سوسن الوقائع التالية: «كنت أستعد لتقديم امتحاناتي الثانوية عندما قدم إلى بيتنا شابٌ يطلب يدي، لأعلم بعدها أن موعد عقد قراني حُدّد بعد الامتحانات واشترط أهلي عليه أن يحقق لي رغبتي في إتمام تعليمي الجامعي، ومرت أيام فرحة وضمّنا بيتٌ كنا فيه سعداء. لكن هذا الحال لم يدم طويلاً، فقبيل انتهاء الصيف انقلبت معاملته وصرنا نتشاجر لأتفه

الأسباب، في بادئ الأمر لم أفهم سبب هذا التغير.. لكن علمت من تلميحاته بأن الجامعة هي السبب، إذ ما إن بدأ العام الدراسي وأخذت أتردد على الجامعة حتى دخلت وإيّاه مرحلة جديدة من المشاجرات ووصل الأمر به لأن يمنعني من الذهاب إليها.. وتدخل أهلي في إقناعه بالعدول عن موقفه الرافض لكن محاولاتهم باءت بالفشل، فرضخت لأمره حتى جاء مولودنا الأول والثاني والثالث الذين أصبحوا سلوتي، وفي خضم الأعباء التي ترتبت عليّ من الأولاد والمنزل، لاحظت أن زوجي بدأ يخجل مني أمام زواره وينبهني أكثر من مرة بأن لا أتكلم فيما لا أعرف، وغالباً ما يتهرّب من دعوة أصحابه وزوجاتهم إلى منزلنا، ثم كثيراً ما تأتينا دعوات لحضور مناسبات عائلية فيذهب وحده ويعتذر عن عدم حضوري لأسباب مرضية تارة، ولسبب انشغالي بالمنزل والأولاد تارة أخرى، وقد وصل به الأمر أخيراً لأن يتهمني بالسطحية وعدم المعرفة فأخذ يتولى تدريس الأولاد «فأنا ـ حسب قوله ـ لم أعد صالحة كي أدرسهم».

أصاب زوج سوسن منها مقتلاً عندما اعتبرها «غير صالحة» فهل هي غير صالحة فعلاً حتى يعاملها بذلك، وإلا كيف كانت قبل؟ ما الذي تغير؟ هل ثمة خطأ في مكان ما؟ لم يكن الزوج

ليجعل زوجته تمشي على صفيح ساخن إلا بعدما رأى منها ما رأى من إهمال لمنزلها بسبب خروجها إلى الجامعة وعودتها منهكة ثم النوم والاستيقاظ للدراسة دونما اعتبار للحياة الزوجية أو المنزلية، ففضّل دعوتها البقاء في المنزل للاهتمام بشؤونه فهو الأولى. هنا ثمة مواجهة بين خيارين متناقضين: رغبات الزوجة للجامعة ومتابعة التعلم، وخيارات الزوج بأن تنكب الزوجة على مصالح البيت ومتطلباته. لعل الزوج - وإزاء الخيارات المتعددة - أخذ يلعب وفق إستراتيجية التحكم بالخيارات المناسبة له وليس لها.. ولكنه لم يُحسن تدبير الأمر فهو إن كان قد أخطأ فليس على نفسه كل الوزر ولا يمكن أن يتحمّل الذنب وحده، وهي إن اعتبرت بأن زوجها قد قتل طموحها وأحلامها بممانعته، إلا أنها لم تعرف هي أيضاً كيف تنقذ نفسها من مأزق الخيار المفروض، بل دفعت زوجها لأن يجعلها: «راقصة على رمل ساخن».

الملخص:

إن التحكم في الخيارات أفضل تكتيك للذين سلطتهم هشة، إذ أن إعطاء الناس وهم الاختيار بين بدائل يظل في العادة أكثر كياسة وأفعل تأثيراً، بل هو أنجع طريق لأن تدفع ضحاياك نحو تجرّع السم دون أن يدروا تورطك في تزويدهم به.

المرادف:

- ضع ضحاياك فوق قرني أزمة بحيث يتلقون نطحة أينما توجهوا.

(روبرت غرين)

- إن الجروح التي يوقعها الناس بأنفسهم عفوياً، وباختيارهم الذاتي هي على المدى الطويل أقل إيلاماً من تلك التي يوقعها الآخرون بهم.

(نيقولا ميكافيللي)

- في مسألة اختيار بسيطة بين «أ» و«ب» مثلاً، تجعل باقي حروف الأبجدية خارج لعبة التفضيل.

(د. تيموني بتلر)

■ ■ ■

obeikandl.com